

تعريف مدينة أشير التاريخية

أ. شعوة علي

جامعة بوزريعة

تعريف عام لمدينة أشير التاريخية:

لا تزال أطلال مدينة أشير باقية إلى اليوم، وتطل على بلدية الكاف الأخضر على ارتفاع 400م، مساحة تبلغ نحو 95 فداناً، والموقع يسمى في الوقت الحاضر "يشير"، وتقع جنوب شرق الجزائر العاصمة، وتبعد عنها بحوالي 150 كم، في منطقة على الطريق الوطني بين شلالة العداورة وعين بوسفوكان الكاتب الفرنسي بيربروج هو أول من تعرف على مدينة أشير التاريخية في خرائب الكاف الأخضر في سنة 1852م، وفي سنة 1922م قام جورج مارسلي بزيارة خرائب أشير وبكتابة دراسة قيمة عنها نشرتها المجلة الإفريقية في نفس السنة

لا تزال الحفريات والبحوث الأركولوجية تجري مجراها بواسطة علماء الآثار في كل المدن الحمادية ومنها أشير وهي تطلعننا في كل مرة على تحف فنية جميلة دالة على مبلغ الرقي الصناعي والفني الذي بلغته الجزائر في ذلك العصر الزاهر وما كان لها من التقدم في العلم والمدينة التي شارك بها في السير ركب الحضارة بهذا المغرب العربي الكبير.

تاريخ تأسيس مدينة أشير:

ويرجع فضل تأسيس مدينة أشير إلى الزيري بن مناد في 324هـ/936م أول من ملك من الصنهاجيين بالمغرب الأوسط وكان حسن السيرة شجاعاً⁽¹⁾، ووقع اختيار مكانها لوفرة المياه وإطلالها على سفوح الجبال الدائرة بها، وأعان الزيري بن مناد في تأسيس المدينة الخليفة الفاطمي القائم في تشييد مدينة أشير، وبعث له مهندسا ماهرا ما كان يوجد مثله في إفريقيا وعمالا ومواد البناء وبالأخص الحديد⁽²⁾.

كانت أشير مركز بلكين بن الزيري قبل موته أبيه، وعند مقتل أبيه أنطلق منها ليأخذ بثأر أبيه⁽³⁾ وتولى بلكين الأمر من سنة 361هـ/972م - 373هـ/984م⁽⁴⁾ زار مدينة أشير رحالة وعلماء أجلاء، كما كانت الحياة العلمية فيها رائجة، جلبت لها أشهر البنائين من إفريقيا والمسيلة، كما شيدت بها القصور والاقامات والحمامات، نذكر منها قصر بنت السلطان، الذي مازالت بعض أطلاله شاهدة عليه.

فيذكر ابن خلدون في الجزء السادس، صفحة 349 من كتاب العبر أن المنصور ابن بلكين عقد لآخيه حماد على أشير والمسيلة، وكان يتداولها مع أخيه يطوفت وعمه أبي البهار⁽⁵⁾.

ماد قبل أن يأسس الدولة الحمادية:

وفي صفحة 321، من كتاب العبر قال ابن خلدون أن في حوالي 377هـ / 987م-9م عقد لأخيه على أشير⁽⁶⁾.

وفي عهد باديس بن المنصور، قال ابن عذاري في كتابه البيان المغرب في تاريخ يقيا والمغرب ج1. ص356، وكذلك الكامل في التاريخ، ج7، ص 182 لابن الأثير ي ذكر أن تولية حماد على أشير كان سنة 386هـ، أما ابن عذاري فيرى في 387 997 م ومنها انطلق حماد مع محمد ابن أبي العرب لحرب الزيري ابن عطية 389هـ/ 998م⁽⁷⁾.

ماد يأسس الدولة الحمادية:

وحتى في سنة 395هـ/ 1004م-1005م ولي باديس حمادا على أشير والمغرب وسط، وذلك عندما أمر باديس حمادا بقتال المعز بن الزيري بن عطية⁽⁸⁾، وبعد صار على المعز بن زيري بن عطية أذن باديس بتأسيس قلعة بني حماد لحما ذلك في 398هـ/ 1008م-1009م، وتقع هذه المدينة على 36 كلم شمال شرق المسيلة، سقر حماد في هذه المدينة المنيع التي كانت تسمح له بمراقبة القبائل الزناتية بسهولة رك أشير، لكن يزورها من حين لآخر⁽⁹⁾، وفي سنة 405هـ/ 1015م ثار حماد على يس، وكانت أشير في هذه الفترة تحت حكم والي المدينة خلف الحميري⁽¹⁰⁾، وعند صار باديس القلعة 406هـ/ 1016م، مات وهنا سار حماد الى أشير في ألف وخمسة مدي فلقاه كرامة في سبع الاف عسكري فاقتلوا قتالا شديدا، ولكن انهزم كرامة لاند بني الزيري، فدخل حماد أشير وقتل عدد كبير من أحلاف الزيريين⁽¹¹⁾

وفي سنة 408هـ/ 1018م استقلت الدولة الحمادية استقلالاً تاماً وشامل عن الدولة الزيرية وكانت أشير في عهد الناصر بن علناس 454هـ/ 1062م لولده يوسف⁽¹²⁾. وفي عهد الناصر زحف المنتصر بن خزرون الزناتي بقبيلة بني عدي الزناتية، ونزل أشير وفتحها، فخرج اليه الناصر فهرب المنتصر الى الصحراء⁽¹³⁾ وفي عهد المنصور بن الناصر ابن علناس سنة 481هـ/ 1088م كان هذا الأخير في صراع مع بني ومانوا حيث قاما المرابطون وبني ومانوا وبني يلومي بحصار الجزائر وثم خربوا أشير وها انهمزم المنصور⁽¹⁴⁾.

مدينة أشير من خلال كتب الرحالة

ابن حوفل : أشير مدينة يسكنها آل زيري بن مناد لها سور خصين وأسواق وعيون تطرد وأجنة ومزارع وإقليم حسن القدر⁽¹⁵⁾

البكري:

ذكر الطريق التي تؤدي من تنس إلى أشير. ثم وصف هذه المدينة بعد أنكر الأبيات التي رواها محمد بن يوسف لعبد الملك بن عيشون.

أيها السائل عن غريبتنا وعن محل الكفر أشير

عن دار فسق ظالم أهلها فد شيدت للأفلاك والزور

أسسها الماعون زيرها فلعنة الله على زيري

ثم قال :

وهي مدينة جلييلة حصينة يذكر انه ليس في تلك الأقطار أحصن منها ولا بعد متناولا ومراما ولا يوصل إلى شيء منها بقتال إلا من موضع واحد يحميه عشرة رجال. وهو في شريقها الذي ينفذ إلى عين مسعود وسائر نواحيها تنزل عنها العيون

وهي مع ذلك بين جبال شامخة محيطة بها دائرة عليها داخل مدينتها عينان ثرتان، لا يغلها غور ولا يدرك قعر، أحدهما تعرف بعين سليمان والأخرى بعين تالا نثيرغ التي بنى سورها بلكين يوسف بن الزيري بن مناد الصنهاجي سنة سبع وستين وثلاثمئة هجري، وخرها يوسف بن حماد بن زيري واستباح أموالها وفضح حرمة ذلك بعد أربعين وأربعمئة، ثم تراجع الناس إليها بعد خمس وخمسين⁽¹⁶⁾.

الإدرسي:

ومنها إلى أشير زيري مرحلتان، وهو حصن حسن البقعة كثير المنافع وله سوق يوم معروف تجلب إليه كل لطيفة وتباع به كل طريفة⁽¹⁷⁾.

ياقوت:

أشير. مدينة في جبال البربر بالمغرب في طرف إفريقيا الغربي مقابل بجاية في البر، كان أول من عمرها زيري بن مناد الصنهاجي، وكان سيده القبيلة في أيامه. وهو جد العزيز بن باديس وملوك إفريقيا بعد خروج الملقب بالمعز الفاطمي منها. وكان زيري هذا يبدء أمره يسكن الجبال. ولما نشأ ظهرت منه شجاعة أوجبت له أن اجتمع إليه طائفة من عشيرته فاغار بهم على من حوله من زناتة والبربر، ورزق الظفر بهم مرة بعد المرة عظم جمعه وطالبته نفسه بالإمارة، وضاق عليه وعلى أصحابه مكانهم، فخرج يرتاد له موضعاً ينزله، فرأى أشير، وهو موضع خال وليس به أحد مع كثرة عيونه وسعة مساحته وحسن منظره، فجاء بالبنايين من المدن التي حوله، وهي: المسيلة وطبنة وغيرهما، وشرع في إنشاء مدينة أشير وذلك في سنة 178، فتمت إلى أحسن حال وعمل على جعلها حصناً منيعاً ليس إلى المتحصن به طريق إلا من جهة واحدة تحميها عشرة جبال، وحمل الزيري أهل تلك الناحية وزرع الناس فيها، وقصدها هل تلك النواحي طلباً للأمن والسلامة فصارت مدينة مشهورة، وتملكها بعده حماد، وهم بنو عم باديس

واستولوا على جميع ما يجاورها من النواحي، وصاروا ملوكا لا يعطون أحدا طاعة، وقاوموا بني عمهم ملوك إفريقية آل باديس.

ومن أسير هذا الشيخ الفاضل، أبو محمد عبد الله بن محمد الأشيري إمام أهل الحديث والفقه والأدب بحلب خاصة، وبالشام عامة، استدعاه الوزير عون الدين المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة، وزير المقتفى والمستنجد، وطلبه من الملك العادل بن نور الدين محمود بن الزنكي، فسيره إليه، وقرأ كتاب ابن هبيرة الذي صنفه وسماه الإيضاح في شرح معاني الصحاح بحضوره، وجرت لمحمود بن الزنكي مع الوزير منافرة في شيء اختلف فيه اغضب كل واحد منهما صاحبه، وردف ذلك اعتذار من الوزير وبره برا وافرا، ثم سار من بغداد إلى مكة ثم عاد إلى الشام فمات في بقاع بعلبك في سنة 561هـ.

وفي عهد المنصور بن علناس سنة 481هـ/1088م كان هذا الأخير في صراع مع بني ومانوا، حيث قاما المرابطون وبني ومانوا وبني يلومي بحصار الجزائر وثم خربوا أشير، وهنا انهزم المنصور (18).

الحياة الاجتماعية:

كان للمدن الحمادية أسوار تحيط بها، وكانت هذه الأسوار من الحجر بقلعة حماد وأشير وقسنطينة... الخ (19)، وكما لكل مدينة أبواب، كما أن المقابر تقع خارج مدينة أشير (20)، كما نجد مساجد وحمامات وفنادق وقصور بمدينة أشير (21).

إلى جانب هذا وجود العيون، مثل عين مسعود وعين سليمان وعين تلاتتيراغ أما من حيث السكان فكانت قبيلة تلكاتة الصنهاجية هي السائدة في أشير، غير أنه سنة 514هـ/1120م أصبحت أشير تحت سلطة الثعالبة، وهي فرع من قبيلة معقل (22).

المواصلات:

أربع طرق تخرج منها مدينة أشير: طريقان يؤديان إلى تنس وطرق تتجه نحو جاج وطريق تؤدي إلى الجزائر.

طريق تنس الأولى تمر بسوق هواره وسوق كرام وملبانة والخضراء ومدينة سن وقارية، والطريق الثانية تمر عبر مليانة ومدينة بني ومدينة شلف ومدينة ن، وكانت طريق مرسى الدجاج تمر بقرية شعبة ومدينة حمزة، أما طريق كانت تمر بالمدينة وقررونة (قرب البليلة).⁽²⁴⁾

أ. مدينة أشير:

بن عبد الرحمن بن أبيه القطني: من أهل قُرْبَة، يعرف: بابن عَوْصَة؛ وَيُكْنَى: لله.

: من أحمد بن سعيد، وأحمد بن مُطَرَّف، ومحمد بن مُعَاوِيَة الْقُرَشِي، وأبي والتميمي وغيرهم كَتَبَ عنه غير واحد وَرَحَّلَ إِلَى الْمَشْرِقِ حَاجًّا فَحَدَّثَ فتوفى بالمغرب قرب مدينة أشير سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة⁽²⁵⁾.

بيروية، الدولة الحمادية، بدون طبعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977 ص 90

بيروية، المرجع السابق، ص 12

السابق، ص 15

للدون عبد الرحمن، كتاب العبر، مكتبة المدرس ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967

السابق، ص 321

ذاري المراكشي، البيان المغرب، ج 1، مكتبة صادر، بيروت، 1950، ص 358

بيروية، المرجع السابق، ص 18

ذاري المراكشي، المرجع نفسه، ص 353

- (8) نفسه، ص 19
- (9) نفسه، ص 20
- (10) نفسه، ص 23
- (11) نفسه، ص 29
- (12) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 353، 354
- (13) المرجع نفسه، ج 6، ص 355، 358
- (14) نفسه، ج 7، ص 115
- (15) ابن حوقل، المسالك والممالك، ليدن، 1864
- (16) البكري ابوعبيد الله، كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، باريس، 1965
- (17) الإدريسي أبي عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق (المغرب وأرض إفريقيا)، ليدن
- (18) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، ليدن.
- (19) رشيد بورويبة، المرجع نفسه، ص 15
- (20) نفسه، ص 154
- (21) البكري، المرجع نفسه، ص 64
- (22) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 157
- (23) نفسه، ص 158
- (24) نفسه، ص 144
- (25) الزركلي، الاعلام ج 3، دار العلم للملايين، بي